

THE DISCOURSE OF TOLERANCE AND INTERFAITH COEXISTENCE IN THE KINGDOM OF MOROCCO

Dr. Hafid SLIMANI¹


University Ibn Zohr Agadir, Morocco

Abstract

In this research, focused on coexistence and tolerance between religions in the Kingdom of Morocco, a linguistic and semantic definition was given to the meaning of tolerance. This research also confirms that tolerance means mutual respect and not compromise or leniency, and illustrates that Islam and Quran called for tolerance. In fact, in this research we have shed the light on the fact that Islam was the first to call for coexistence and tolerance.

We have illustrated as well the efforts extended by the Kingdom of Morocco in calling for tolerance, and we have referred therein to the His Majesty the King, Mohammed VI's speech, especially the speech His Majesty gave during the Pope Francis Visit to the Kingdom of Morocco in March 2019. In this research we have focused on the content of the Royal speech and the strong meanings it contains regarding the importance of dialogue, coexistence and tolerance between religions, all within a context of a comprehensive humane brotherhood.

Key words: the Kingdom of Morocco, The Discourse of Tolerance and Interfaith Coexistence.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.24.7>

¹  slimani.hafid1983@gmail.com

خطاب التسامح والتعايش بين الأديان في المملكة المغربية

د. حفيظ اسليماني

جامعة ابن زهر، المملكة المغربية

الملخص

في هذا البحث الذي ركز على خطاب التسامح والتعايش بين الأديان في المملكة المغربية " تطرقنا فيه إلى التعريف بالتسامح من حيث اللغة والاصطلاح وأكدنا على أن التسامح لا يعني التساهل والتنازل وإنما يعني الاحترام المتبادل، كما تحدثنا عن الدين الإسلامي وتأصيله للتسامح من خلال الآيات القرآنية، وأكدنا على أن الإسلام كان سباقا إلى الدعوة إلى التعايش والتسامح. وأبرزنا كذلك جهود المملكة المغربية في الدعوة إلى التسامح واستحضرنا هنا الخطاب الملكي أثناء استقبال جلالة الملك محمد السادس نصره الله للبابا فرانسيس الذي زار المملكة في مارس 2019، إذ تم تركيز الحديث في هذا البحث عن بنود الخطاب الملكي وما فيه من دلالات قوية على أهمية الحوار بين الأديان والتعارف والتعايش في إطار الأخوة الإنسانية الجامعة.

الكلمات المفتاحية: خطاب التسامح والتعايش بين الأديان، المملكة المغربية.

المقدمة

في الوقت الذي لم يعد يسمع فيه إلا صوت الرصاص والعنف والإرهاب على المستوى العالمي، وفي ظل وجود جماعات متطرفة والتي تتخذ من الدين وسيلة لنشر أفكارها وحشد المزيد من الأتباع، وحيث إن هؤلاء لا يؤمنون بالتعددية وقبول الغير. وحيث إن التعصب الأعمى للذات هو الذي يدفع الإنسان إلى كل ارتكاب الأفعال المنافية للقيم، أصبح من الواجب التصدي لهؤلاء ومواجهتهم عبر مقاربات عدة، أمنية ودينية وثقافية.

ويعد خطاب التسامح من الوسائل الضرورية التي يتحقق من خلالها التعايش الكوني بعيدا عن لغة العنف والانغلاق، فنحن بحاجة للحوار والتواصل والاحترام. لهذا يمكننا القول: إن التسامح ليس مجرد اختيار، بل هو ضرورة وذلك من أجل تحصين الإنسانية من كل المخاطر التي تهدد السلم العالمي. وعليه، فالواجب اليوم قبل الغد ليس التشخيص وحسب بل الأمر يستدعي محاربة كل خطاب يدعو إلى الكراهية والعنصرية كل من جهته.

في هذه المداخلة التي اخترت لها عنوان: "خطاب التسامح والتعايش بين الأديان في المملكة المغربية" سوف أتطرق إلى مفهوم التسامح والحاجة إليه مع استحضار الآيات القرآنية الداعية إلى التعارف والحرية الإنسانية ونبذ الإكراه. ثم أتوقف عند التسامح في المملكة المغربية التي تعتبر بحق مملكة التسامح والتعايش بين الديانات.

التسامح لغة واصطلاحاً:

جاء في مقاييس اللغة " (سَمَحَ) السَّيْنُ وَالْمِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سَلَاَسَةٍ وَسُهولةٍ. يُقَالُ سَمَحَ لَهُ بِالشَّيْءِ. وَرَجُلٌ سَمِيحٌ، أَي جَوَادٌ، وَقَوْمٌ سَمَحَاءٌ وَمَسَامِيحٌ" (أحمد بن فاس 1979، ص. 99).

وفي لسان العرب لابن منظور (1414هـ): "سمح: السَّمَاخُ والسَّمَاخَةُ: الجُودُ. سَمَحَ سَمَاخَةً وَسُمُوحةً وَسَمَاحاً: جَادَ... الإِسْمَاحُ: لُغَةٌ فِي السَّمَاخِ؛ يُقَالُ: سَمَحَ وَأَسَمَحَ إِذَا جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ؛ وَسَمَحَ لِي فُلَانٌ أَي أَعْطَانِي؛ وَسَمَحَ لِي بِذَلِكَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً. وَأَسَمَحَ وَسَامَحَ: وافَقني عَلَى المَظْلُوبِ.. والمُسامَحةُ: المُساهلة. وتَسَامَحُوا: تَسَاهَلُوا. وقولهم الحَنيفِيَّةُ السَّمُوحَةُ؛ لَيْسَ فِيهَا ضَبِيقٌ وَلَا بُدَّةٌ. وَمَا كَانَ سَمُوحاً، وَلَقَدْ سَمُحَ، بِالضَّمِّ، سَمَاحَةً وَجَادَ بِمَا لَدَيْهِ. (ج2، ص. 489) وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "س م ح، تسامح الشَّخْصُ/ تسامح الشَّخْصُ فِي الأمر: تَسَاهَل فِيهِ، تَهَاون فِيهِ.. تَسَمَّحَ الرَّجُلُ: تَكَلَّفَ السَّمَاخَةَ أَي التَّسَاهَلَ وَالكَرَمَ" (أحمد مختار عبد الحميد 2008، ج2، ص. 1104).

ويذكر سمير الخليل أن: أصل التسامح (toleration) في اللغة الإنجليزية يرجع إلى الكلمة اللاتينية (tolerantia)، وكانت هذه الكلمة في أول أمرها تعني فكرة عامة حول تحمّل وإطاقة أمور متنوعة. واللغة الانجليزية المعاصرة تحتوي على اسمين مشتقين من الأصل اللاتيني، وهما: (tolerance) و (toleration)، ويمكن القول بشكل عام: إن الكلمة الأولى (tolerance) تشير إلى موقف، أما الكلمة الثانية (toleration)؛ فتشير إلى تصرّف. وإذا أردنا عرض معنى أكثر تحديداً، فيمكن القول بأن الكلمة الأولى تشير إلى الاستعداد أو القدرة على التحمّل، أما الثانية فتشير إلى ممارسة التحمل. (ص. 13) ويذهب سمير الخليل إلى القول كذلك أن كلمة toleration مشتقة في الأصل من الجذر اللاتيني tolerere، الذي يعني التحمل. بمعنى أن الفكرة الأساسية المتضمنة هنا هي فكرة التحمل، المعاناة، أو التعايش مع شيء لا يُحِبُّ في الحقيقة، أو يمكن أن يعتبر لا أخلاقياً، بل وربما شراً بصورة من الصور. (ص. 13).

انطلاقاً من هذه التعريفات يمكن القول أن التساهل لا يرادف معنى التسامح، كما التحمل لا يتوافق مع التسامح أيضاً. أي أن التسامح لا هو تساهل ولا هو تحمل، بل هو تقبل الآخر والاعتراف به بعيداً عن منطق التساهل أو التحمل أو مجرد السخاء مع من هو في موقع استعلاء.

التسامح اصطلاحاً:

أورد صليبيا (1982) عدة معانٍ نذكر منها:

أ- هو نترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وإن كانت مضادة لآراء الآخرين، فالتسامح لا يوجب على المرء التخلي عن معتقداته، أو الامتناع عن إظهارها أو الدفاع عنها، بل يوجد عليه الامتناع عن نشر آرائه بالقوة والقسر والقدح والخداع.
ب- هو أن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده أنها محاولةٌ للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة، وهذا يعني أن الحقيقة أغنى من أن تنحل إلى عنصر واحد، وأن الوصول إلى معرفة عناصرها المختلفة يوجب الاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه حتى يؤدي اطلاعنا على مختلف الآراء إلى معرفة الحقيقة الكلية، فليس تسامحاً في ترك الناس وما هم عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وآرائهم منةً نجود بها عليهم، وإنما هو واجب أخلاقي ناشئ عن احترام الشخصية. (ج1، ص. 272)

ويذكر لالاند (1996) تعريفات منها قوله:

أ- التسامح: "استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه

ب- التسامح: "احترام ودي لآراء الآخر، وذلك باعتبارها مساهمة في الحقيقة الشاملة" (ج3 ص ص. 1460-1461).

وبتعبير الجابري (1997) "هو موقف فكري قوامه تقبُّل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كانت مواقف موافقة أو مخالفة لمواقفنا" (ص. 20).

الخلاصة هنا أن التسامح ليس هو التساهل ولا التحمل ولا التنازل بل هو احترام الآخر المختلف والتعايش معه.

الحاجة إلى التسامح:

نحتاج إلى التسامح لأسباب كثيرة منها: "لكي لا يكون التعصب بديلا، ولكي لا يكون قمع الرأي وهيمنة الرأي الواحد ممكنا، ولكي لا يكون العنف سبيلا، ولكي لا يكون التكفير خيارا، فقد اشتهر بين المسلمين كما يقول الشيخ محمد عبده في كتابه "الإسلام دين العلم والمدينة" وعرف من قواعد دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر، والقاعدة أن التعصب لا يواجه بالتعصب وإنما بالتسامح، والكرهية ولا تواجه بالكرهية بل بالتسامح، والتكفير لا يواجه بالتكفير وإنما بالتسامح، والعنف لا يواجه بالعنف وإنما بالتسامح. ولا ينبغي أن يفهم التسامح بوصفه موقف الضعيف أو ينم عن ضعف، ولا هو موقف الامتنان والتعالي بإبداء الصفح والعفو من موقع الترفع على الآخرين، ولا هو موقف التردد والاضطراب واللاحسم، وإنما هو الموقف الذي يظهر قوة الضمير، وشفافية النزعة الإنسانية، وعظمة الروح الأخلاقية" (الميلاد، كما ورد عند المحمداوي 2012، ص. 171).

من هذا المنطلق يؤكد البروفسور هوبرتس هوفمان (2015) قائلا:

إن المتطرفين في الغرب يفهمون الإسلام كما يفهمه أمثالهم من الجهة الإسلامية، كدين قتال ضد الآخرين، فيتخذون الصورة المشوهة المتشددة المنتشرة لدى الإسلاميين، فهم أيضا لا يعرفون الإسلام الحقيقي الرحيم الداعي إلى السلام، هناك متطرفون غربيون يهاجمون الإسلام بحجة رد الاجتياح الإسلامي عن عالمهم. البغض يولد البغض. والإكثار من البغض يجلب الإكثار منه، هذا هو لولب عدم التسامح الذي علينا مقاومته، لكي تتمكن قريتنا العالمية من العيش بسلام. (ص: 31)

إن سوء الفهم يولد التعصب واللاتسامح ويؤدي في الأخير إلى الفوضى وعدم التعايش. يقول فولتير (2009) في هذا الصدد:

"إن التسامح في خلاصة القول، لم يتسبب قط في إثارة الفتن والحروب الأهلية، في حين أن عدم التسامح قد عمم المذابح على وجه الأرض" (ص. 9). ويضيف فولتير قائلا: "إن الحق في التعصب حق عبثي وهمجي إذًا؛ إنه حق النمرور وإن

فاقته بشاعة: فالنمور لا تمزق بأنيابها إلا لتأكل، أن نحن فقد أفنينا بعضنا بعضا من أجل مقاطع وردت في هذا النص أو ذلك" (ص.50).

وعليه فالحل لمشكل الفوضى وعدم الاحترام والبغض هو التسامح، يقول المفكر جامبولسكي(2006):

التسامح يحررنا من أشياء كثيرة، فهو يخمد معاركنا الداخلية مع أنفسنا، ويتيح لنا فرصة التوقف عن استحضار الغضب واللوم.

إن التسامح يسمح لنا بمعرفة حقيقتنا الفعلية، ومع التسامح الذي بقلوبنا يمكننا في النهاية ممارسة الإحساس الحقيقي بالحب.

التسامح هو أفضل علاج على الإطلاق يسمح لنا أن نشعر بالترابط، أحدا بالآخر، وبكل تلك الحياة.

إن للتسامح قدرة على علاج حياتنا الداخلية والخارجية، فبوسعه أن يغير من الطريقة التي نرى بها أنفسنا والآخرين، فيمكن أن يغير رؤينا لذلك العالم. (ص. 18)"

التسامح في القوانين الدولية:

أ- ميثاق الأمم المتحدة (1945): جاء في ديباجته: "نحن شعوب الأمم المتحدة اعترمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش في سلام وحسن جوار".

ب- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان(1948): جاء في الفقرة 2 من المادة 26، ما يلي: "يجب أن يُعزَّز التفاهم والتسامح والصدقة بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية، وأن يؤيد الأنشطة التي تضطلع بها الأمم المتحدة لحفظ السلام".

ج- منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو): لقد اعتمد المؤتمر العام للمنظمة في دورتها الثامنة والعشرون في باريس 1995 تعريفا للتسامح وإعلان مبادئ التسامح:

المادة الأولى:

احترام وقبول التنوع والاختلاف عبر الانفتاح والمعرفة وحرية الفكر والضمير والمعتقدات، والتسامح ليس أخلاقيا فقط بل سياسي وقانوني، وهو فضيلة تسهم في إحلال ثقافة السلم محل ثقافة الحرب.

التسامح لا يعني التساهل والتنازل، بل هو اتخاذ موقف ايجابي يُقر بحق الآخر في التمتع بحقوقه، وهو ممارسة يجب على الدول والجماعات والأفراد الأخذ به.

التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية بما فيها التعددية الثقافية والديمقراطية وحكم القانون، وينطوي التسامح على نبذ الاستبداد والدوغماتية، ويثبت المعايير التي تنصب عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان.

التسامح لا يعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي الفرد عن معتقداته والتهاون بها، بل يعني تمسكه بمعتقداته وقبوله تمسك الآخرين بمعتقداتهم وهو إقرار بحق الفرد في العيش بسلام.

المادة الثانية: تحث على دور الدولة في نشر التسامح عبر الأخذ بالموثيق والتشريعات الدولية، وتشريع القوانين الداخلية بموجب مبادئ العدل والمساواة، وعدم تهمة كافة الفئات المستضعفة.

المادة الثالثة: توضح الأبعاد الاجتماعية للتسامح والتي تؤكد على البحوث والدراسات العلمية ودور التعلم والصحافة والإعلام في نشر التسامح، وضرورته للعالم، بعد أن أصبح أكثر اندماجاً بفعل العولمة.

المادة الرابعة: أكدت على أهمية التعليم، وتشجيع المناهج الدراسية على تعليم حقوق الإنسان ومعرفة أسباب العنف والخوف من الآخر واللاتسامح.

المادة الخامسة: نصت على الالتزام بالعمل عبر مجالات التربية والتعليم والثقافة والاتصال المادة السادسة: حددت يوم السادس عشر من تشرين الثاني/ نونبر من كل عام للاحتفال به كيوم عالمي للتسامح، واتخاذ الترتيبات اللازمة لنشره بكل اللغات.

هذه الدعوات والإعلان حول التسامح فقد سبق للإسلام أن دعا إليها وما سنتطرق إليه في النقاط التالية:

الحرية في الإسلام:

إذا كان المتطرفون يريدون فرض كل شيء بالقوة والعنف، فإن الله سبحانه تعالى لم يفرض الإيمان به بالقوة والإجبار، بل أرسل الرسول عليهم السلام لهداية الناس الحق، تاركا لهم الحرية الكاملة في اختيارهم، يقول الله جل في علاه: ﴿قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (القرآن الكريم، الكهف: 29) ويقول سبحانه تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (القرآن الكريم، يونس: 99). فلو أراد الله عز وجل إخضاع الناس للإيمان به لفعل ذلك. وهناك دليل قاطع على نفي الإكراه، يقول سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (القرآن الكريم، البقرة: 256).

يقول جودت سعيد (1997):

إن "الأنبياء فقط هم من سلكوا الطريق الصحيح إلى حرية الرأي، لأن الأنبياء، وهم قدوة العالم في الإصلاح، حين أرادوا أن يحققوا حرية الرأي، كان عليهم أن يبنذوا الإكراه في الرأي، لأن الحرية لا تتحقق مع الإكراه، ولهذا نبذ الأنبياء الإكراه في الرأي ليحققوا حرية الرأي، ولأجل أن يتركوا الإكراه في الرأي كان عليهم أن يتركوا الأمر التي يحصل بها الإكراه وأهمها العنف، وخاصة العنف الذي يقع باليد. (ص. 13). وهذه رسالة موجّهة إلى كل التيارات الأحادية التفكير المغالية في التكفير والتطرف.

التنوع سنة كونية:

إن التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف كما يقول محمد عمارة (2021) هو سنة إلهية كونية مطردة في سائر عوالم المخلوقات. وأن هذه التعددية هي في إطار وحدة الأصل الذي خلقها الله. فالإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة تتنوع إلى شعوب وقبائل وأمم وأجناس وألوان. وكذلك إلى شرائع في إطار الدين الواحد. وإلى مناهج، أي ثقافات وحضارات في إطار المشترك الإنساني الواحد، الذي لا تختلف فيها الثقافات. كما تتنوع إلى عادات وتقاليد وأعراف متميزة حتى داخل

الحضارة الواحدة، بل والثقافة الواحدة. وهذا التنوع والاختلاف والتميز يتجاوز كونه "حقاً" من حقوق الإنسان" إلى حيث هو "سنة" من سنن الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (القرآن الكريم، النساء:1). ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (القرآن الكريم، هود-119-118). (ص. 44)

هذا التنوع والاختلاف والتميز في نظر راغب السرجاني (2011): يجب أن يظل في إطار المشترك الجامع، إذ لا يمكن أن ننسى أنه رغم هذا التنوع فجميع البشر لهم أب واحد وأم واحدة، يؤمن اليهود والمسيحيون والمسلمون أن هذا الأب هو آدم وأن هذه الأم هي حوا، ومعنى ذلك أن البشر جميعاً إخوة في الحقيقة. (راغب السرجاني، ص. 144)

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (القرآن الكريم، الاسراء: 70).

هذه الآية حسب زكي الميلاد (2013) أصلت لقاعدة أن الأصل في الإنسان الكرامة، وأنها صفة ملازمة للإنسان بما هو إنسان، بغض النظر عن لونه وعرقه، لغته، دينه، ولا يجوز سلب هذه الصفة، فالإنسان إنسان بكرامته، والقرآن الكريم في هذه الآية كان بليغاً جداً، حيث استعمل وصف بني آدم عند حديثه عن الكرامة، ليؤكد أمرين متلازمين، أن الكرامة هي صفة أصيلة في النوع الإنساني، وأن هذه الصفة تشكل جميع الناس الذين يرجعون في أصلهم الإنساني إلى بين آدم بدون استثناء، وليس هناك صنف من البشر خارج هذا الأصل الإنساني المشترك.

كما اعتبرت هذه الآية أن الله سبحانه هو مصدر الكرامة الإنسانية، وهو الذي فضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وهذا يعني ضرورة أن يتمسك الإنسان بهذه الكرامة ولا يتخلى عنها أبداً. (ص. 99، 100)

مهمة الاستخلاف والتعاون (قصة الصين والروم):

مهمة الاستخلاف تعني أن الله جعل الإنسان خليفة في الأرض، يقول الله عز وجل: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض﴾ (القرآن الكريم، يونس: 14). هذه الخليفة الإنسان يجب عليه أن يعمر الأرض، وينشر قيم الأمن والسلام والمحبة، وأن يقوم بكل الأعمال الصالحة التي تجعل الحضارة الإنسانية مكان لرفاهية الإنسان وسعادته وليس شقائه وتعاسته. فكرة الاستخلاف هذه تؤكد على أن الإنسان لم يخلقه الله عبثاً بلا وظيفة ولا غاية، بل خلقه ليؤدي رسالة، هذه الرسالة تستوجب أن تكون في إطار ما شرعه الله لعباده.

هذه المهمة لا يمكن أن يحققها فرد لوحده، ولا مجتمع لوحده، ولا أهل دين لوحدهم، بل تحقيقها مقترن بالتعاون الإنساني في هذا الكون الجامع ولا يتحقق التعاون إلا بالتواصل.

وفي نص يفيض بالأدب والحكمة من التراث الإسلامي ترد قصلة بليغة تعكس مقدار ما يعود به التواصل بين تجارب الشعوب والأمم، من فائدة على مجموع المتواصلين، يرويها الشاعر الكبير "جلال الدين الرومي" في ديوانه الشهير "المنثوي" وهي قصة تنافس أهل الروم وأهل الصين في علم التصوير التي تروي "أن، الصينيين قالوا: نحن أكثر مهارة في النقش، وقال أهل الروم: بل نحن أصحاب الكر والفر فيه، وقال السلطان: وأنا أريد امتحاناً في هذا الموضوع لنرى من المبرز منكم في دعواه؟

وعندما حضر نقاشو الصين والروم، كان الروم أكثر وقوفاً على هذا العلم.

وقال نقاشو الصين: ليخصص لنا منزل ولكم منزل، كان المنزلان متواجهين، أخذ أحدهما نقاشو الروم، وأخذ الآخر نقاشو الصين.

وطلب نقاشو الصين مائة لون من الملك ففتح لهم خزائن.

وقال نقاشو الروم: لا نقش ولا لون جدير بهذا العمل، اللهم إلا صقل الصدا. وأغلقوا الباب وضلوا يصقلون، وصار ما صقلوه كالسما صافيا... وعندما فرغ نقاشو الصين من العمل، أخذوا يدقون الطبول فرحا. ودخل الملك فرأى صورا في ذلك المكان، كانت تسلب العقول والألباب. ثم انتقل صوب نقاشي الروم، فكشفوا ستارة كانت موضوعة أمامه، فانعكست تلك الصورة وتلك الأعمال على الجدران الصافية. وكل ما رآه هناك، انعكس هنا أفضل، فكانت تخطف العيون من محاجرها.

إن هذا النص على قصره يعطينا عددا من الدروس في إدارة العلاقة بين التجارب الحضارية المتعددة، فضلا عن الحكمة من التعدد المغني في الخبرات الحضارية للأمم، ومحصلته أن الحضارة الإنسانية تغني بكافة التجارب - صينية ورومية- ويرعى هذا المنجز الحضاري بالتفاعل بين تلك التجارب (عبّرت القصة عن هذا التفاعل بانعكاس الصورة في عمل الآخر واكتمال جماليتها به فيه)، وبالتالي بلوغ الهوية مستواها الأرق في مقام التواصل مع الآخر وتجلي منجزها الحضاري بالتفاعل البناء معه. (سمير بودينار، ص ص. 90، 91)

هكذا إذن تكون مهمة الاستخلاف، استخلاف من أجل البناء والتعاون والتواصل مع الآخر، لتتحقق بذلك سعادة البشرية كلها. لذلك نجد القرآن الكريم يؤكد على التعاون كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ محذرا في الآن نفسه من نقيض ذلك كما في قوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (القرآن الكريم، المائدة: 2).

آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب:

يذكر التويجري أن لهذا الحوار حدودا يتعين رسمها بدقة، والاتفاق عليها عن اقتناع وهي:

أولا: أن يكون الحوار متكافئا، تتوفر له شروط المساواة والندية والإرادة المشتركة، وأن تتعدد مستوياته وتتفاوت درجاته؛ بحيث يكون حوارا شاملا، يدور مع مختلف الفئات والشرائح، على المستوى الحكومي، وعلى صعيد المؤسسات الأهلية ذات العلاقة بالقضايا والمجالات التي تُحدّد لهذا الحوار.

ثانيا: أن يتناول الحوار مختلف القضايا التي تهتم المجتمع العربي الإسلامي، لا يُستثنى إلا القضايا التي تدخل ضمن اختصاصات السيادة في الدول العربية الإسلامية، بحيث يتسع مجال الحوار ويتعمق مجراه، فيشكل كل موضوع ذي صلة بالحياة الثقافية والفكرية، والاقتصادية والاجتماعية، والعلمية والتقنية، فلا يكون مقتصرًا على القضايا المعرفية فقط.

ثالثا: أن يهدف الحوار إلى تحقيق منافع مشتركة للطرفين، وأن يؤدي إلى تأمين المصالح التي يحرصان عليها، والتي لها صلة بالتقدم في مجالات الحياة ثقافيا وعلميا، اقتصاديا واجتماعيا، بحيث يكون لهذا الحوار تأثير على مجمل العلاقات بين المسلمين والغرب، ويعود بالنفع والفائدة على الجميع.

رابعا: أن يكون الحوار متحضرا، ومرتفعا عن الموضوعات التي هي مثار اختلافات دائمة؛ مثل اختلاف العقيدة،

اللون، العرق... ص

المملكة المغربية التسامح:

إن المملكة المغربية شكلت وما تزال كذلك أرضا للحوار والتعايش بين الأديان قديما وحديثا، تجسيدا لمبادئ القرآن الكريم الذي يدعو إلى الحوار والتعايش والسلام مع الآخر، إضافة إلى العقيدة الأشعرية القائمة على الوسطية والتسامح، وكذلك المذهب المالكي المعتمد والجامع للمغاربة، والمؤسسة الملكية الساهرة على حفظ الملة والدين والداعية إلى الالتزام بالقيم الكونية والانفتاح على الآخر والتواصل معه.

أ- الدستور:

لقد شدد الدستور في ديباجته على أن "المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الوطنية والترابية، وبصيانة تلاحم وتنوع مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية-الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية. كما أن الهوية المغربية تتميز بتبوء الدين الإسلامي مكانة الصدارة فيها، وذلك في ظل تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء".

وهذا ما جعل بلدنا المغرب يحتل مكانة بالغة الأهمية، حيث نجد التنوع في إطار الوحدة على صعيد الهوية الوطنية، وفي نفس الوقت التزام الشعب المغربي بقيم الحوار والتسامح الأمر الذي يحقق التعايش رغم الاختلاف. ومن هنا يمكن القول أن بلدنا ولله الحمد يعتبر بمثابة حديقة جميلة في تنوع وتعدد أشكالها وألوانها وروائحها أزهارها يكمن الجمال. لذلك كان دستور المملكة المغربية واضحا وصریحا في التأكيد على التعدد والتنوع والانفتاح والحوار والتسامح والالتزام بالقيم الإنسانية.

ب: رسالة جلالة الملك مراكش

وجه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، يومه الاثنين 14 ربيع الآخر 1437هـ الموافق لـ 25 يناير 2016، رسالة سامية إلى المشاركين في أشغال المؤتمر حول "حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية .. الإطار الشرعي والدعوة إلى المبادرة" الذي افتتحت أشغاله بمدينة مراكش. مما جاء فيها:

إننا في المملكة المغربية لا نرى مبررا لهضم أي حق من حقوق الأقليات الدينية، ولا نقبل أن يقع ذلك باسم الإسلام، ولا نرضاه لأحد من المسلمين. ونحن، في اقتناعنا هذا، إنما نستلهم الفهم الصحيح لمبادئ الدين كما نستلهم تراثنا الحضاري وتاريخ هذه المملكة العريقة في التعامل النبيل بين المسلمين وبين غيرهم من أتباع الديانات.

فالمرجع الأول للمبادئ التي نلتزم بها في هذا الموضوع هو القرآن الكريم الذي يعلن عن تكريم الله للإنسان، من حيث هو إنسان. وفي سياق ترسيخ هذه الكرامة أكد القرآن الكريم حقيقة كونية منبثقة عن المشيئة الإلهية تلخص في أن الله عز وجل اقتضت مشيئته أن يخلق الناس مختلفين في أديانهم على نحو ما هم مختلفون في ألوانهم ولغاتهم وأعراقهم. وذلك ما وطن في نفوس المسلمين قبول التعددية.

ج- رسالة جلالة الملك فاس

بعث صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، يوم الاثنين 10 شتنبر 2018، برسالة إلى المشاركين في الدورة الثانية للمؤتمر الدولي لحوار الثقافات والأديان، التي تنظمها وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الدولي للمملكة المغربية والمنظمة الدولية للفرنكوفونية، تحت الرعاية السامية لجلالة الملك، وذلك من 10 إلى 12 شتنبر الجاري بفاس، حول موضوع "سؤال الغيرية".

فمما جاء في هذه الرسالة قول جلالتة حفظه الله:

"إن هذا المنتدى الذي نجتمع في إطاره اليوم، مدعو لتعميق التفكير حول الحوار والتفاهم بين الحضارات، وإذكاء الوعي بالحاجة الملحة إليهما. فالعالم اليوم يستوجب أكثر من أي وقت مضى، التحلي بالمزيد من النزاهة واليقظة، والانخراط في بناء نظام جديد للسلم العالمي.

وعن هذا النظام العالمي قال جلالتة: "النظام الجديد للسلم العالمي، فهو ما نرجو أن نسهم في بنائه جميعاً، على أساس مبدأ التعايش وقبول التعدد والاختلاف، بما يسمح بالبناء والتطوير، وتوطيد الأمن والنمو والازدهار".

وبخصوص ما يمتاز به المغاربة أكد جلالة الملك نصره الله قائلاً: إذا كان كرم الضيافة من شيم المغاربة، فإنه يشمل أيضاً كرم الروح. ففي بيئته ينشأ الاحترام وقبول الآخر، ويزدهر التنوع الثقافي. وقد جسدنا هذه الميزة، التي تجعل من المغرب بلداً متعددًا ومتنوعًا، في إطار الوحدة الوطنية، من خلال جملة من المبادرات على الأصعدة الوطنية والإقليمية والدولية.

مضيفاً بالقول: "فالنموذج المغربي يتميز بتفرده على المستوى الإقليمي، من حيث دستوره، وطبيعة واقعه الثقافي، وتاريخه الطويل، الذي يشهد على تجذر التعايش، لاسيما بين المسلمين واليهود في أرضه، وانفتاحه على الديانات الأخرى. إن هذا النموذج الأصيل الذي يستمد مرجعيته من إمارة المؤمنين ومن المذهب السني المالكي، شهد جملة من الإصلاحات العميقة. فهو يستهدف تحصيل المجتمع المغربي من مخاطر الاستغلال الإيديولوجي للدين، ووقايته من شرور القوى الهدامة، من خلال تكوين ديني متنور متشبع بقيم الوسطية والاعتدال والتسامح.

الخطاب الملكي السامي أثناء استقبال قداسة البابا فرانسيس للمملكة في مارس 2019

لقد أكد جلالة الملك نصره الله على حرص المملكة وتشبثها بروابط الأخوة حيث قال جلالتة:

"فقد حرصت المملكة المغربية على الجهر والتشبث الدائم بروابط الأخوة، التي تجمع أبناء إبراهيم عليه السلام، كركيزة أساسية للحضارة المغربية، الغنية بتعدد وتنوع مكوناتها.

وبشكل التلاحم الذي يجمع بين المغاربة، بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم، نموذجاً ساطعاً في هذا المجال. فهذا التلاحم هو واقع يومي في المغرب. وهو ما يتجلى في المساجد والكنائس والبيع، التي ما فتئت تجاور بعضها البعض في مدن المملكة".

وعن حوار الأديان قال جلالتة: "من الواضح أن الحوار بين الديانات السماوية، يبقى غير كاف في واقعنا اليوم. ففي الوقت الذي تشهد فيه أنماط العيش تحولات كبرى، في كل مكان، وبخصوص كل المجالات، فإنه ينبغي للحوار بين الأديان أن يتطور ويتجدد كذلك".

وعن أهمية التربية ودورها في التصدي للإرهاب والتطرف يقول جلالته: "ولمواجهة التطرف بكل أشكاله، فإن الحل لن يكون عسكريا ولا ماليا؛ بل الحل يكمن في شيء واحد، هو التربية.

فدفاعي عن قضية التربية، إنما هو إدانة للجهل. ذلك أن ما يهدد حضاراتنا هي المقاربات الثنائية، وانعدام التعارف المتبادل، ولم يكن يوما الدين.

واليوم، فإني بصفتي أمير المؤمنين، أدعو إلى إيلاء الدين مجددا المكانة التي يستحقها في مجال التربية. ولا يمكنني وأنا أخطب هؤلاء الشباب، ألا أحذرهم من مخاطر التطرف أو السقوط في نزوعات العنف. فليس الدين هو ما يجمع بين الإرهابيين، بل يجمعهم الجهل بالدين.

لقد حان الوقت لرفض استغلال الدين كمطية للجهلة، وللجهل وعدم التسامح، لتبرير حماقاتهم."

حديث جلالته نصره الله عن التربية له أهمية، إذ بالتربية يمكننا القطع مع كل دعوة تشجع لممارسة التعصب والعنف والفوضى، أو تبرر أفعال أتباعها. وعليه فبالتربية نستطيع أن نواجه دعوات الانغلاق والعنف وذلك ننتج ثقافة مجتمعية تؤمن بالقيم السمحة وقبول الآخر.

وعن أهمية هذا اللقاء أكد جلالته قائلا: "إن لقاءنا اليوم يرسخ قناعة مشتركة، مفادها أن القيم التي تركز عليها الديانات التوحيدية، تساهم في ترشيد النظام العالمي وتحسينه، وفي تحقيق المصالحة والتقارب بين مكوناته."

ختم حفظة الله ونصره بالقول "وإننا نتابع باهتمام وتقدير كبيرين، الجهود التي تبذلونها خدمة للسلم عبر العالم، وكذا دعواتكم المستمرة إلى تعزيز دور التربية والحوار، ووقف كل أشكال العنف، ومحاربة الفقر والفساد، والتصدي للتغيرات المناخية، وغيرها من الآفات التي تنخر مجتمعاتنا.

وبصفتينا أمير المؤمنين والحبر الأعظم، فإننا مدعوون لأن نكون في نفس الوقت، مثاليين وعمليين، واقعيين ونموذجيين.

فرسائلنا تتسم بطابعها الراهن والأبدي في آن واحد.

وهي تدعو الشعوب إلى الالتزام بقيم الاعتدال، وتحقيق مطلب التعارف المتبادل، وتعزيز الوعي باختلاف الآخر."

الجامعة المغربية وانخراطها في توجهات المملكة:

إن الجامعة المغربية منخرطة في نشر قيم التسامح والتعايش بين الأديان، ونعطي المثال هنا بالكلية المتعددة التخصصات بالسماحة حيث يوجد ضمن وحدات المقررات الدراسية وحدة تاريخ الأديان التي أشرف بتدريسها، حيث يتعرف الطالب على الأديان ومصادرها وعقائدها، الأمر الذي يجعل من هؤلاء المتخرجين متشبعين بقيم الأخوة الإنسانية ومساهمين كذلك في نشر تلك القيم.

كما تحتضن الكلية ماستر "العقيدة الأشعرية بالغرب الإسلامي والامتداد الأفريقي" ومن ضمن وحدات هذا الماستر وحدة "جغرافية العقائد والأديان في افريقيا" التي أتولى تدريسها، حيث نقدم محاضرات للطلبة عن علاقة الإنسان الافريقي بالمعتقد وبالدين عموما منذ القدم، وفيها - المحاضرات - تأكيد كذلك على أن افريقيا جديرة بالاهتمام والدراسة. فالإنسان الافريقي عبر اعتقاده وتصوره للدين استطاع المحافظة على وحدته وانسجامه.

ولا شك أن هذا الاهتمام الأكاديمي بإفريقيا هو اهتمام نابع من توجهات المملكة وعلاقتها بالعمق الإفريقي على جميع المستويات، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر مجهودات المملكة في بناء المساجد بالعديد من الدول الإفريقية الشقيقة وتكوين الأئمة الافارقة بالمغرب، وهو ما يعزز نشر تعاليم الدين الإسلامي المبني على الوسطية والقيم السمحة والمودة والتراحم بين المسلمين في إطار الأخوة الإسلامية، والتعاون مع غير المسلمين في إطار الأخوة الإنسانية.

خاتمة:

أخيرا وليس آخرا، يمكننا القول: إن المملكة المغربية تشكل أرضا للتعایش والتسامح والأخوة الإنسانية، وذلك بفضل تشبث المغاربة بالقيم السمحة وبفضل جهود المؤسسة الملكية الساهرة على حماية الملة من جهة والداعية إلى الانفتاح على الآخر بغض النظر عن دينه من جهة أخرى. ومن هنا نقول إن المملكة المغربية هي مملكة الجمال، فمحنة الغير جمال، والتعامل والحوار مع الآخر جمال، وتوفير الأمن والسلام جمال، وتحقيق التعايش جمال.

قائمة المراجع

- بودينار، سمير. (2021). الحوار الحضاري؛ صوب مقام التعارف، كتاب جماعي: *المشترك الإنساني نحو بناء معرفي لثقافة الحوار والتعايش*، دار الانبعاث للنشر والتوزيع
- ج. جامبولسكي، جيرالد. (2006) *التسامح أعظم علاج*. (مكتبة جرير، مترجم). الناشر مكتبة جرير- الرياض.
- جودت، سعيد، (1997). *لا إكراه في الدين*، دار العلم والسلام للدراسات والنشر- دمشق.
- السرجماني، راغب. (2011). *المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب*. الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة.
- شاهين، بيجان. *التسامح من قيم الليبرالية*. (علي الحارس، مترجم). الناشر منشورات المتوسط- ميلانو إيطاليا.
- صليبا، جميل. *المعجم الفلسفي*. (1982) الناشر: دار الكتاب المصري.
- عابد الجابري، محمد. (1997). *قضايا في الفكر المعاصر*. الناشر مركز دراسات الوحدة العربية.
- عمارة، محمد. (2021) *فلسفة الإسلام في التعايش مع الآخر الدين والثقافي*، ضمن كتاب جماعي: *المشترك الإنساني نحو بناء معرفي لثقافة الحوار والتعايش*، (ص ص.) الناشر: دار الانبعاث للنشر والتوزيع.
- بن فارس، أحمد. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. (عبد السلام محمد هارون، محقق). الناشر: دار الفكر.
- فولتير، (2009). *رسالة في التسامح*. (هنريت عبودي، مترجم). الناشر: دار بترا للنشر والتوزيع- سوريا.
- لالاند، اندريه. (1996) *الموسوعة الفلسفية*، (خليل أحمد خليل، مترجم). منشورات عويدات، بيروت.
- المحمداوي، علي عبود. (2012). *خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح*، الناشر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر.
- مختار، أحمد عبد الحميد عمر. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. الناشر: عالم الكتب.
- ابن منظور. (1414). *لسان العرب*. (ط،3). الناشر: دار صادر - بيروت.
- الميلاد، زكي. (2013). *الإسلام والنزعة الإنسانية*. الناشر: دار الانتشار العربي- بيروت.
- هوفمان، هوبتس. (2015). *قانون التسامح*. (د. عادل خوري، مترجم) الناشر العربي للنشر والتوزيع.